

هذه الآراء في كتاب شهير أشار إليه الباحث دوف شفارتز في دراسته هذه وهو كتاب «المؤمن المتوحد».

لم يكن الربى يوسف سولوفيتشنيك وهو الربى الأرثوذكسي يرى تنافياً بين اليهودية والحدائبة وبين العقلانية والدين وخصوصاً بين الصهيونية واليهودية وهو موقف على غاية من الأهمية بالنظر إلى أنه كان في بداية حياته قريباً من التصورات الأرثوذكسية المناهضة للصهيونية؛ فقد كان إلى حدود الحرب العالمية الثانية ضمن مجلس كبار علماء التوراة الذي يشرف على حركة أعودات يسرائيل المناهضة للصهيونية، ولكن المحرقة النازية غيرت فكره حوالي ١٨٠ درجة حول الصلات بين اليهودية والصهيونية. ظهر ذلك جلياً في انضمامه إلى الفرع الأمريكي لحركة مزراحي، ولم يكن ذلك بالأمر اليسير، منسلخاً عن تقاليد العائلية مثلما عبر عن ذلك في كتابه «الدروس الخمسة حول ارتس» **חמש דרשות על ארץ ישראל** وشبه العلماء اليهود

مثل المنضوين تحت لواء الصهيونية بمنزلة يوسف ذلك النبي الحالم الذي عارضه إخوته فاختلفت بذلك منطلقاته عن منطلقات الربى يهودا كوك ذات البعد المشيخاني ومنطلقات الفيلسوف المشاكس يهوشوع ليوفيتش.

إن هذا الكتاب الذي جمع فيه دوف شفارتز طائفة من النصوص المتصلة بالصهيونية الدينية ممثلة بأهم أعلامها لا يمكن أن يقرأ منفصلاً عن مؤلفاته الكثيرة ومقالاته المتعددة حول هذا التيار الأساسي في تاريخ اليهودية والصهيونية سواء بسواء، والذي اخص فيه مؤلفون آخرون. وسيغنم القراء العرب والسياسيون وأصحاب القرار بالاطلاع عليهم لأنني أزعم أن هذا التيار الصهيوني الديني هو الذي سيشكل في مستقبل السنوات صورة الصراع العربي الإسرائيلي وخارطة النزاعات الدينية السياسية في الشرق الأوسط؛ فإسرائيل تنزع نحو اليمين الديني رويدا رويدا ولكن دون رجعة؛ فالصحة الدينية التي بدأت منذ نكسة ٦٧ وعبر عنها اليهود باسم حازاراه بتشوقاً صارت مهددة بالأذى إلى ما تعبر عنه هذه الأوساط ببداية لخلص: «هاتخيلات هجيءئولا» **«التحولات الغاولة»** بفعل النزوع إلى التسويات السياسية المرفوضة التي تمس بقداصة إسرائيل وأرضها فيما يدعون.

الكتاب: الصهيونية الدينية: التاريخ، الفكر، المجتمع

المؤلف: دوف شفارتز

دار النشر: مطابع جامعة بار ايلان

اللغة: العبرية

عدد الصفحات: ٢٢٤ صفحة

تاريخ النشر: أكتوبر ٢٠١٧

× أستاذ الدراسات اليهودية الجامعية



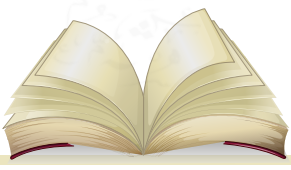
المعاصرة فهذا الربى المنحدر في الأصل من أصول روسية حيث ولد سنة ١٩٠٣ والمعروف اختصاراً بـ«زاتسال» وقضى سنوات تكوينه الجامعي في برلين عاصمة الثقافة اليهودية حيث أكمل دراسته سنة ١٩٢٦ وفيها تعرف فكراً على اثنين من كبار مفكري اليهودية الأرثوذكسية في القرن العشرين ممن سيكون لهما أكبر التأثير الروحي في اليهودية العالمية وهما الربى مناحيم ماندل شنيرسون آخر عنقود سلالة اللوبافيتش الحسيدية والربى يتسحاق هوتنر أحد زعماء اليهودية اللتوانية في الولايات المتحدة لاحقاً. وحين أنهى أطروحته عن فلسفة اليهودي هيرمان كوهين كانت قد بدأت تتشكل ملامح فكره وفلسفته التي عبر عنها فيما بعد فيما سماه «التوراة والعلم» **תורה ומדע** وطبق ذلك من خلال جامعة يشيفا التي ترأسها والده من قبله، وتقوم على فكرة أو ضرورة أن يجمع اليهود الأرثوذكس تكويناً علمانياً متيناً في الجامعات العلمانية كما فعل هو في جامعة برلين بل إنه ذهب إلى أنه لا يجوز إعطاء أية صفة دينية **סמיכה לרבנות** ليهودي أرثوذكسي يصير بموجها من الربيين اليهود ما لم يتحصل قبل ذلك على تعليم تخصصي في أحد فروع المعرفة الدنيوية الحديثة في الجامعات غير الدينية. وهو في ذلك يختلف جذرياً عن الربى صموئيل هيرش اليهودي الأرثوذكسي الذي سعى إلى التقريب بين اليهود والثقافة الأوروبية الحديثة ولكن سولوفيتشنيك لم يكن يسعى في حقيقة الأمر إلى مجرد التقريب بل كان يرى في هذه الثقافة الأوروبية الألمانية حجر الأساس في اليهودية الحديثة وليست مجرد شر لابد منه كما رأى آخرون من قبله بل لم يكن يرى فيها تهديداً للثقافة اليهودية وإنما فرصة نادرة للتجدد والحياة. واعتبر رجال الدين اليهود الذين كونهم وفق هذا المبدأ بمثابة جيل الأوائل أو الريشونيم من يهود إسبانيا السفارديم كما يطلق على جيل ابن ميمون وابن عزرا ويهودا اللاوي. وقد بسط كل

الفلسطينيين إلخ.

والحقيقية أن هذا الانسحاب قد أحدث جرحاً بالغاً في وعي جماعات اليمين الديني المتشدد فهؤلاء المنحدرون من فكر الربى يهودا كوك يعتقدون كما اعتقد هو عندما كتب عن قداصة إسرائيل وأرضها أنه «يجب أن نتذكر مرة واحدة وإلى الأبد أن ما هو مقدس مقدس! [...] وأن دولة إسرائيل والنظام الذي عليه حكومتها هما أيضاً مقدسان. بل إن كل ما يرجع إلى تنفيذ هذه الأحكام، بل وجميع الدبابات والأسلحة الأخرى والذخائر [...] - كلها تنتمي إلى هذه القداصة التي تميز أرض إسرائيل». كانت أزمة الصهيونية الدينية ممثلة في حركة غوش أيمنيم وغيرها هي التساؤل كيف يمكن اعتبار الدولة التي تقتلع المستوطنات وتسلم أجزاء من الأرض التي قدستها التوراة إلى الحكم العربي «مقدسة تماماً؟» بل أي معنى ديني يمكن أن يضيء إلى أعمال هذه الدولة العلمانية التي تظن أنها تحسن صنعاً بينما هي لا تدرك أن هدفها الأساسي المفروض أن يجعل منها بمثابة «أساس عرش الله في العالم»، هي من تقوم بتدمير نفسها بنفها بل وتدمر من وراءها كل ذلك الأمل المشيخاني الذي هو جوهر التبرير الذي يقبل من خلاله الربى كوك بالصهيونية ومن ورائه كل التيارات الدينية الأرثوذكسية الكلاسيكية «ولهذا السبب بالذات أطلق البعض على هذا الانسحاب العبارة اليهودية».

لقد رفضت التيارات اليمينية المنحدرة من الصهيونية الدينية من قبل مبدأ التنازل عن أي جزء مما تعتبره أرض إسرائيل الكاملة «هاشليماء» وأقدمت على ارتكاب المحظور منذ سنة ١٩٩٥ باغتيال رئيس الوزراء إسحاق رابين سنة ١٩٩٥ اعتماداً على فتوى دينية هي فتوى «دين روديف» و «دين موسير» المضممتين في نصوص الربى موشيه بن ميمون في كتابه «مشنيه تورا»، ولكن الخطر لم يأت هذه المرة من شخصية «علمانية» بل من شخص أرييل شارون المحسوب على اليمين القومي القريب من الأوساط الدينية المتشددة ولم تكن فتاوى الربى أبراهام شابيرا أو موردخايياهو إلا تعبيراً عن هذا المأزق الذي عاشته الأوساط المنحدرة من فكر الربى كوك الذي ظن أنه وجد طريقاً لاعتبار الصهيونية الجناح الذي سيحمل المشيخانية نحو صيغة اكتمالها.

كما اهتم الباحث دوف شفارتز في القسم الثالث من العمل بالكشف عن بعض محتويات الأرشيف الخاص بمعهد زارح للدراسات حول اليهودية الصهيونية **המכון לחקר הציונות הדתית** «ع"ש د"ר זרח ורהפטיג» وكشف عن رسالة مهمة للربى يوسف سولوفيتشنيك **יוסף דוב הלוי סולובייצ'יק** عن الأرثوذكسية الحديثة وأعتقد أن هذه الرسالة من النصوص المهمة التي تجب دراستها والتوسع في فكر مؤلفها المجهول لدى القراء العرب تقريباً وذات التأثير العميق في اليهودية



الصهيونية الدينية: التاريخ، الفكر، المجتمع لدوف شفارتز

فوزي البدوي *

كثيرة هي الكتب في اللغات الأجنبية التي خصصت لقصة الصهيونية الدينية المثيرة للاهتمام والتي عرفت على يد الربى أبراهام كوك منذ بداية القرن العشرين زخمها الكبير؛ فقد جرت العادة أن ينظر إلى الصهيونية تاريخياً باعتبارها حركة علمانية مناهضة لليهودية التقليدية أو الأرثوذكسية، وتجد جذورها الفكرية في الهاسكalah اليهودية في القرن الثامن عشر، إذ قدمت إجابة مغايرة للمسألة اليهودية كما نظرت إليها اليهودية الإصلاحية بزعامة موشيه مندلسون والداعية إلى الاندماج في ألمانيا وأوروبا عموماً وامتلاك صفة «المواطنة» بكل ما تقتضيه ومحاولة تجديد اليهودية من داخلها، مما وجد تعبيره الأكبر في ما عرف بوثيقة بيتسبورغ الأمريكية سنة ١٨٨٥ واليهودية الأرثوذكسية التي رفضت الاندماج المؤذن بخراب اليهودية في اعتقادها والمؤسس حتماً للانصهار والذوبان وفضلت الانكفاء داخل عقلية الجيتو الانعزالية وإن بفوارق ودرجات مختلفة بحسب الظروف والمكان.

الرسالة التي أمضاها الربى يحيال يعقوب فاينبرغ. والحقيقة أن الباحث دوف شفارتز هو أحد القلائل مع موتي اينباري ممن اهتم بالصهيونية الدينية وقد كرس وقته وجهده لدراسة هذه الصهيونية الدينية، وكتابه هذا ليس الأول في بابه فقد كان له السبق في إصدار مؤلفات أخرى أساسية لمن يريد التخصص وفهم هذه الحركة المهمة التي يستحيل بدونها فهم اليهودية المعاصرة والصهيونية والصراع العربي الإسرائيلي ومستقبله إذ سيكون لهذه الحركة دور مهم جداً فيما سيحدث في العشرية القادمة ومن هنا جاءت أهمية تقديم هذا الكتاب للقراء العرب.

لقد خصص دوف شفارتز من قبل كتابين مهمين باللغة العبرية بعنوان الصهيونية الدينية في مائة عام **מאה שנות ציונות דתית** خصص الأول مائة سنة من الصهيونية الدينية - الشخصيات والمناهج **מאה שנות ציונות דתית - אישים ושיטות** والثاني مائة سنة من الصهيونية الدينية - الجوانب التاريخية **מאה שנות ציונות דתית - היבטים היסטוריים** وخصص كتاباً ثالثاً بعنوان الصهيونية الدينية: التاريخ وفصول في الأيديولوجيا **הציונות הדתית: תולדות ופרקי אידיאולוגיה**.

وتعتبر مسألة الانسحاب من غزة وبعض أجزاء الضفة الغربية سنة ٢٠٠٥ مسألة بالغة الخطورة بالنسبة للصهيونية الدينية والمتدينين الصهاينة أكثر من أية قطاعات أخرى في المجتمع الإسرائيلي ويهود العالم؛ بسبب أن أغلب المستوطنين هم من الصهاينة المتدينين وقد نبه دوف شفارتز إلى تأثير هذا الانسحاب على هذه الفئة من المجتمع الإسرائيلي في هذا الكتاب وفي غيره من خلال رصد مواقفها والإشارة إلى ارتباط ذلك بمسائل العقيدة الدينية وغيرها مثل الدولة والعرب

عليها الباحث الإسرائيلي دوف شفارتز والصادر في أكتوبر ٢٠١٧ من خلال معهد زارح لدراسات الصهيونية الدينية وهو ينقسم إلى ثلاثة أبواب خصص أولها للتاريخ والمجتمع، وفيه دراسات كل من يوسف سلمون حول يعقوب راينس: ملامح زعيم صهيوني ديني، وهو مقال درس فيه هذا المؤرخ الحركة الصهيونية الدينية سيرة وأثار من يُعتبر مؤسس حركة مزراحي الحقيقي بعد أن احتضنته في البداية حركة أحباء صهيون. وفيها تعرف على صموئيل موهيليفير صاحب مشروع الاستيطان في فلسطين تطبيقاً لمبدأ الجمع بين التوراة والعمل العبري ومن إليه يرجع أصل تسمية حركة مزراحي وهي اختصار لعبارة «مركز روحاني» **המזרחי**

وفي هذا الكتاب أيضاً دراسة عن إحدى أهم الشخصيات التي طبعت الصهيونية الدينية والتي لا نجد مع الأسف دراسات عنها في اللغة العربية وهي شخصية الربى يهودا كوك بقلم حنا ناثان ريبكين عن مقاومة أتباع الربى زبي يهودا كوك لمسألة فك الارتباط أو الانسحاب من غزة **תוכנית ההתנתקות** وأجزاء من الضفة التي خصص لها موتي اينباري في غير هذا السياق دراسة مهمة ثم خصص القسم الثاني من الكتاب لمحور الفكر اليهودي، وفيه درس دوف شفارتز نفسه وهو المشرف على كتاب العبرية الدينية في فلسفة الربى كوك معتبراً إياه في عنوان فرعي للدراسة قديساً قومياً. أما القسم الثالث من الكتاب فاهتم بدراسة أرشيف معهد الدكتور زارح للأبحاث حول الصهيونية الدينية وفي هذا القسم كشف دوف شفارتز الغطاء من خلال الأرشيف عن ثلاثة مواضع هي على التوالي: رسالة الربى يوسف سلوفوتشيك حول الأرثوذكسية الحديثة والثانية حول بعض القراءات التي قدمت في منظمة مزراحي النسوية ثم رسالة الدكتور يوسف بورغ حول تعيينه حبراً وهي

وكانت هذه الصهيونية في بدايتها من اقتراح وجود طريق ثالث وهو الخروج من أوروبا مطلقاً والبحث عن حل جذري يتمثل في تأسيس دولة لليهود وليس دولة يهودية كما يظن لأول وهلة في قطيعة خطيرة مع الأسس الماشيكانية التي اعتنقتها اليهودية الأرثوذكسية، والتي تعتبر قيام دولة لليهود مسألة «إلهية»، يقرها إله إسرائيل وحده مثلما نصت عليه نصوص كثيرة من التلمود البابلي، وهو رفض نجد آثاره حتى اليوم بين بعض طوائف الحريديم اليهودية حتى وهي تتخذ من إسرائيل مستقراً لها. وهذا التعارض هو ما وفق الباحث يعقوب رابكين في توضيحه في كتاب يظل مرجعاً في بابه.

ولكن هذه المرحلة لم تدم طويلاً بعد نشوء حركة مزراحي التي لم تكن ترى تعارضاً بين الصهيونية واليهودية، وهي حركة يهودية حدثت تأثرت بالثورة البورجوازية التي عرفتها أوروبا الشرقية والوسطى. وكان المنظر الذي تمت على يديه هذه التوليفة هو الربى أبراهام إسحاق يهودا كوك أول أحبار إسرائيل الاشكنازي في السنوات الثلاثين والذي جعل من الصهيونية جزءاً من اللاهوت اليهودي وحركة منخرطة في مسار الماشيكانية اليهودية التقليدية تحضر لعودة الماشيخ اليهودي المنتظر، وهو ما مكن بالتالي كل اليهود المترددين من الانخراط في الصهيونية. وهذه الحركة التي بدت قليلة العدد في الثلاثينات هي الحركة أو التيار الذي يجب أن يحسب له العرب والمسلمون حساباً وألف حساب في العقود القادمة لأن توجه إسرائيل نحو اليمين الديني لم يعد خافياً على أحد.

ولهذه الشخصية المهمة بالأساس ولائتين أخريين هما يعقوب راينس ويوسف سلوفوتشيك خصص هذا الكتاب المعنون بـ «الصهيونية الدينية: التاريخ، الفكر، المجتمع». وهو في الحقيقة مجموعة من المساهمات أشرف